تراجم النحويين فقد سأله يونس بن حبيب عن كلمة السويق، وهو الناعم من دقيق الحنطة، هل ينطقها أحد من العرب ـ الصويق ـ بالصاد؟ فأجابه: نعم، قبيلة عمرو بن تميم تقولها. ثم قال له: وما تريد على هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس[1].

وكما اهتم ابن أبي اسحق بالقياس النحوي اهتم بالتعليل للقواعد تعليلاً يمكن لها في ذهن تلاميذه. بيد أن رجل المدرسة الكبير هو الخليل بن أحمد (ـ ١٥٠ هـ) الذي أبدع في مجالات فقه اللغة والعروض والنحو، فقد ألف «العين» في اللغة. وقعد العروض ووضع أصوله التي لم تشهد تطوراً يذكر بعده، وأوصل القياس النحوي والتعليل النحوي إلى درجة من التطور كبيرة[2].

ومع أنه لم يصلنا شيء من كتاباته النحوية، فان تلميذه سيبويه احتفظ لنا في كتابه بكثير من أقوال الخليل واستشهاداته وتعليلاته وأقيسته في كثير من الأمور.

وقد عرفت المدرسة البصرية بعد الخليل تلميذه سيبويه صاحب «الكتاب» الذي قيد فيه النحو كله حتى «لم يشذ من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له»[3] ثم كان قطرب (ـ ٢٠٦ هـ) والأخفش الأوسط (ـ ٢١١ هـ) والمازني (ـ ٢٤٩ هـ) فالمبرد (ـ ٢٨٥ هـ) وتلامذته[4].

ثم ظهرت مدرسة الكوفة، وكان لها مذهب خاص في النحو يضاهي مذهب البصرة وينازعه، وقد شهدت هذه المدرسة بداياتها على يد الكسائي (ـ ١٨٩ هـ) أحد القراء السبعة، وكان أثيراً لدى الرشيد، وتميزت الكوفة باتساعها في رواية الاشعار وعبارات اللغة عن جميع العرب بدوهم وحضرهم، بينما كانت البصرة تتشدد فلا تأخذ إلا عن بعض قبائل البادية، وتهتم اهتماماً أكبر بالقياس والتعليل واطراد القواعد والظواهر النحوية.

---

(١) القفطي: أنباه الرواة ٢/١٠٤، السيرافي: أخبار النحويين البصريين ١٢.
(٢) ضيف، شوقي: المدارس النحوية ٣٠ ـ ٥٦.
(٣) القفطي: أنباه الوراة ٢/٣٤٦.
(٤) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ط ٢، القاهرة ١٩٧١ ص ٩٧ وما بعدها.